رؤيا .. الأمراء

- لم تسب صاحبي؟
- من أين علمت هذا؟
- ثبت الله ملكك.
- يا عمر تمسك بما أنت فيه.
- سكت نطق.. سكت نطق.
- ما قصة هذا الرغيف؟
- ما أحبسني إلا حانت وفاتي.
- أما كان في الدنيا من يخاطبني فيك.
- والله لا أجبتك بكذب.
- هذا من ثمن تلك السمكة.
- لا تؤثرن فانياً على باقٍ.
- أرأيت أعجب من هذا؟
- أحسن إليه فإنه مظلوم.
- غفر لي ورب الكعبة.
- ما أحب أن أزاد على عطية رسول الله ﷺ.
- هذا طليق الله.
- يا محمود أنقذني من هذين.
- اتفاق منامين.
- أحسنت التأويل.

OBEIKAN.COM

OBEIKAN.COM

[٦٥] لِمَ تَسُبُّ صاحبي؟

عن عيسى بن محمد الطهماني قال: سمعت الأمير إسماعيل[١] يقول: جاءنا أبونا بمؤدب فعلَّمنا الرفض، فنمت فرأيت النبي ﷺ ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال لي: لم تَسُبُّ صاحبي؟

فوقفت فقال لي بيده فنفضها في وجهي فانتبهت فزعًا أرتعد من الحمى، فكنت على الفراش سبعة أشهر، وسقط شعري، فدخل أخي فقال: أيش قصتك؟

فأخبرته، فقال اعتذر إلى رسول الله ﷺ، فاعتذرت وتبت، فما مر لي جمعة حتى نبت شعري[٢].

هذه الرؤيا التي رآها في صغره رؤيا جليلة، حيث كان النبي ﷺ يدافع عن صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقد أراد الله تعالى بهذا الأمير خيرًا فأنقذه بهذه الرؤيا الصالحة من ذنب كبير قد أصر عليه وهو لا يدري أنه قد وقع في أمر يغضب الله تعالى ورسوله ﷺ.

وقد أحدثت هذه الرؤيا لهذا الأمير خوفًا من الله تعالى تحول بسببه إلى المرض الطويل، ولم يكن يدرك معنى التوبة النصوح حتى أرشده أخوه إلى ذلك، فلما تاب إلى الله تعالى ذهب عنه اليأس فذهب عنه المرض.

---

(١) هو الأمير إسماعيل بن الأمير أحمد بن أسد بن سامان بن نوح، فهو من أمراء دولة آل سامان الذين حكموا بلاد ما وراء النهر، وكان من أهل العلم والفضل والعدل، قال عنه الإمام الذهبي: كان ملكًا فاضلًا عالمًا فارسًا شجاعًا ميمون النقيبة معظمًا للعلماء، يلقب بالأمير الماضي، وذكر أنه سمع العلم من أبيه، ومن الإمام محمد بن نصر المروزي عامة تصانيفه، وأن الإمام ابن خزيمة أخذ العلم عنه. السير (١٤/ ١٥٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٥٤).

OBEIKAN.COM

وقد كان من آثار هذه الرؤيا وتلك التوبة أن تحلى بالاستقامة على الدين والتزم المنهج الصحيح بالأخذ عن العلماء الذين لزموا سنة رسول الله ﷺ وأصحابه[1].

[٦٦] من أين علمت هذا؟

روى ابن الجوزي، عن بعض خدم المعتضد، قال: كان المعتضد يومًا نائمًا، وقت القائلة، ونحن حول سريره، فاستيقظ مذعورًا، ثم صرخ بنا فجئنا إليه فقال: ويحكم، اذهبوا إلى دجلة، فأول سفينة تجدوها، فارغة منحدرة، فأتوني بملّاحها واحتفظوا بالسفينة فذهبنا سراعًا، فوجدنا ملاحًا في سميرية، فارغة، منحدرًا، فأتينا به الخليفة، فلما رأى الملّاح الخليفة، كاد أن يتلف، فصاح به الخليفة صيحة عظيمة، فكادت روح الملاح تخرج فقال له الخليفة: ويحك يا ملعون اصدقني عن قصتك مع المرأة التي قتلتها اليوم، وإلا ضربت عنقك، فتلعثم. قال: نعم يا أمير المؤمنين، كنت اليوم سحرًا في مشرعتي الفلانية فنزلت امرأة لم أر مثلها، وعليها ثياب فاخرة، وحلي كثيرة، وجوهر، فطمعت فيها، واحتلت عليها، فشددت فاها وغرقتها، وأخذت جميع ما كان عليها، من الحلي والقماش، وخشيت أن أرجع به منزلي فيشتهر خبرها، فأردت الذهاب به إلى واسط، فلقيني هؤلاء الخدم، فأخذوني، فقال: وأين حليها؟ فقال: في صدر السفينة، تحت البواري، فأمر الخليفة عند ذلك، بإحضار الحلي، فجيء به، فإذا هو حلي كثير، يساوي أموالًا كثيرة، فأمر الخليفة بتغريق الملاح، في المكان الذي غرّق فيه المرأة، وأمر أن ينادى على أهل المرأة، ليحضروا حتى يتسلموا مال المرأة، فنادى بذلك ثلاثة أيام، في أسواق بغداد، وأزقتها،

---

(١) تاريخ الحميدي (١٠/ ٤٥١).

OBEIKAN.COM

فحضروا بعد ثلاثة أيام، فدفع إليهم ما كان من الحلي، وغيره مما كان للمرأة، ولم يذهب منه شيء، فقال له خدمه: يا أمير المؤمنين، من أين علمت هذا؟ قال: رأيت في نومي، تلك الساعة شيخًا أبيض الرأس، واللحية، والثياب، وهو ينادي: يا أحمد، يا أحمد، خذ أول ملاح ينحدر الساعة، فاقبض عليه، وقرره عن خبر المرأة التي قتلها اليوم، وسلبها، فأقم عليه الحد. وكان ما شاهدتم[١].

[٦٧] ثبّت الله مُلكك

حكى أبو الفضل محمد بن عبد الله البلغمي قال: سمعت الأمير أبا إبراهيم إسماعيل بن أحمد يقول: «كنت بسمرقند فجلست يومًا للمظالم، وجلس أخي إسحاق إلى جانبي، فدخل أبو عبدالله محمد بن نصر الفقيه الشافعي فقمت له إجلالًا لعلمه ودينه».

فلما خرج عاتبني أخي إسحاق وقال: أنت أمير خراسان يدخل عليك رجل من رعيتك فتقوم له فتذهب السياسة بهذا قال: «فبت تلك الليلة، فرأيت النبي ﷺ في المنام وكأني واقف وأخي إسحاق فأقبل رسول الله ﷺ فأخذ بعضدي فقال لي: يا إسماعيل ثبت مُلكك ومُلك بيتك لإجلالك لمحمد بن نصر، ثم التفت إلى إسحاق وقال: ذهب مُلك إسحاق ومُلك بيته باستخفافه بمحمد بن نصر. وكان محمد هذا من العلماء بالفقه على مذهب الشافعي العاملين بعلمهم المصنفين فيه وسافر إلى البلاد في طلب العلم وأخذ العلم بمصر من أصحاب الشافعي[٢].

---

(١) البداية والنهاية (١١/ ٩٣) لابن كثير.
(٢) الكامل في التاريخ (٦/ ٢٥٥) لابن الأثير.

OBEIKAN.COM

[٦٨] يا عمر تمسك بما أنت عليه

قال مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز عن فاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر بن عبد العزيز، قالت: انتبه عمر بن عبد العزيز ليلة فقال: لقد رأيت رؤيا معجبة!

قالت: فقلت: جُعلت فداءك فأخبرني بها. فقال: ما كنت لأخبرك بها حتى أصبح. فلما طلع الفجر خرج فصلى، ثم عاد إلى مجلسه، قالت: فاغتنمت خلوته، فقلت: أخبرني بالرؤيا التي رأيت، قال: رأيت كأني رفعت إلى أرض خضراء واسعة، كأنها بساط أخضر، وإذا فيها قصر أبيض كأنه الفضة، وإذا خارج قد خرج من ذلك القصر، فهتف بأعلى صوته يقول: أين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب؟ أين رسول الله ﷺ؟ إذ أقبل رسول الله ﷺ حتى دخل ذلك القصر. قال: ثم إن آخر خرج من ذلك القصر فنادى: أين أبو بكر الصديق؟ أين ابن أبي قحافة؟

إذ أقبل أبو بكر حتى دخل ذلك القصر، ثم إن آخر خرج فنادى: أين عمر ابن عبد العزيز، قال عمر: فقمت حتى دخلت ذلك القصر. قال: فدفعت إلى رسول الله ﷺ والقوم حوله، فقلت بيني وبين نفسي: أين أجلس، فجلست إلى جنب عمر بن الخطاب، فنظرت فإذا أبو بكر عن يمين النبي ﷺ وإذا عمر عن يساره.

فتأملت فإذا بين رسول الله ﷺ، وبين أبي بكر رجل، فقلت: من هذا الذي بين رسول الله ﷺ وبين أبي بكر؟!

فقال: هذا عيسى بن مريم، فسمعت هاتفًا يهتف بيني وبينه ستر من نور، يا عمر بن عبد العزيز تمسك بما أنت عليه، واثبت على ما أنت عليه.

ثم كأنه أذن لي في الخروج، فخرجت من ذلك القصر، فالتفت خلفي، فإذا

OBEIKAN.COM

أنا بعثمان بن عفان، وهو خارج من ذلك القصر، يقول: الحمد لله الذي نصرني ربي، وإذا علي بن أبي طالب في أثره خارج من ذلك القصر، وهو يقول: الحمد لله الذي غفر لي[١].

[٦٩] سكت نطق.. سكت نطق

رأى رجل من أصبهان في النوم أن شخصًا صعد منارة مسجد أصبهان، وكان أهل أصبهان إذ ذاك في خفض من العيش والراحة والأمن، وقال بصوت جهوري رفيع إلى أن أسمع أهل أصبهان: «سكت نطق سكت نطق سكت نطق» ثلاث مرات فانتبه الرجل فزعًا وحكى هذا المنام، فما عرف تأويله، فقال رجل: احذروا يا أهل أصبهان فإني قرأت في شعر أبي العتاهية:

سكت الدهر زمانًا عنهم ثم أبكاهم دمًا حين نطق

فما مر على هذا الحديث إلا أيام قلائل حتى جاء مسعود بن محمود بن سبكتكين، فنهب البلد، وقتل عالمًا لا يحصى حتى قتل جماعة في الجوامع نسأل الله العافية[٢].

[٧٠] ما قصة هذا الرغيف؟

استدعى ابن الفرات يومًا ببعض الكتاب، فقال له: ويحك، إن نيتي فيك سيئة، وإني في كل وقت، أريد أن أقبض عليك، وأصادرك، فأراك في المنام، تمنعني برغيف، وقد رأيتك في المنام من ليال، وإني أريد القبض عليك، فجعلت تمتنع مني، فأمرت جندي أن يقاتلوك، فجعلوا كلما ضربوك، بشيء

(١) مناقب عمر بن عبد العزيز ص(٢٨٣) لابن الجوزي.
(٢) المنتظم (١٥/ ٢٣٠).

OBEIKAN.COM

من سهام وغيرها، تتقي الضرب برغيف في يدك، فلا يصل إليك شيء فأعلمني ما قصة هذا الرغيف، فقال: أيها الوزير، إن أمي منذ أن كنت صغيرًا كل ليلة، تضع تحت وسادتي رغيفًا، فإذا أصبحت تصدقت به عني، فلم يزل كذلك دأبها حتى ماتت، فلما ماتت، فعلت أنا كذلك، مع نفسي، فكل ليلة أضع تحت وسادتي رغيفًا، ثم أصبح فأتصدق به[1].

[٧١] ما أحسبني إلا حانت وفاتي

قال طيفور: كان سبب إحرام المنصور من مدينة السلام أنه نام ليلة فانتبه فزعًا، ثم عاود النوم فانتبه فزعًا، ثم راجع النوم فانتبه فزعًا فقال: يا ربيع، قال: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: لقد رأيت في منامي عجبًا قال: ما رأيت جعلني الله فداك؟ قال: رأيت كأن آتيًا أتاني فهيم بشيء لم أفهمه، فانتبهت فزعًا، ثم عاودت النوم فعاودني يقول ذلك الشيء، ثم عاودني بقوله: حتى فهمته وحفظته وهو:

كأني بهذا القصر قد باد أهله ... وعري منه أهله ومنازله

وصار رئيس القوم من بعد بهجة ... إلى جدث يبنى عليه جنادله

وما أحسبني يا ربيع إلا وقد حانت وفاتي، وحضر أجلي، ومالي غير ربي، قم فاجعل لي غسلًا، ففعلت فقام فاغتسل وصلى ركعتين وقال: أنا عازم على الحج. فهيأنا آلة الحج، فخرج وخرجنا حتى إذا انتهى إلى الكوفة نزل النجف، فأقام أيامًا، ثم أمر بالرحيل فتقدمت نوابه وجنده، وبقيت أنا وهو في القصر وشاكريته بالباب، فقال لي: يا ربيع جئني بفحمة من المطبخ، وقال لي: اخرج

---

(١) البداية والنهاية (١١/ ١٦١).

فكن مع دابتي إلى أن أخرج، فلما خرج وركب، رجعت إلى المكان كأني أطلب شيئًا، وإذا قد كتب على الحائط بالفحمة شعرًا:

المرء يهوى أن يعيش وطول عيش قد يضره

تفنى بشاشته ويبقى بعد حلو العيش مره

وتصرف الأيام حتى ما يرى شيئًا يسرُّه

كم شامت بي إن هلكت وقائل لله دره

قال ابن البراء: مات ببئر ميمون، وهو محرم، فدفن مكشوف الوجه لستٍّ خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة، وكان عمره ثلاثًا وستين سنة[1].

[٧٢] أما كان في الدنيا من يخاطبني فيك

قال أبو محمد الصلحي: حدثني أبو بكر محمد بن علي الماذرائي بمصر وكان شيخًا جليلًا عظيم المال والجاه والمجد، قديم الولاية لكبار الأعمال، قد وزر لخمارويه بن أحمد بن طولون، وعاش نيفًا وتسعين سنة. قال: كتبت لخمارويه ابن أحمد وأنا حدث فركبتني الأشغال وقطعني ترادف الأعمال عن تصفح أحوال المتعطلين وتفقدهم، وكان ببابي شيخ من مشيخة الكتاب قد طالت عطلته، فأغفلت أمره فرأيت أبي في منامي وكأنه يقول لي: ويحك يا بني أما تستحي من الله أن تتشاغل بلذاتك وأعمالك والناس يلتفون ببابك صبرًا وهزلًا! هذا فلان من شيوخ الكتاب قد أفضى أمره إلى أن تقطع سراويله، فما يمكنه أن يشتري بدله، وهو كاليت جوعًا وأنت لا تنظر في أمره، أحب أن لا يغفل أمره أكثر من هذا، قال: فانتبهت مذعورًا واعتقدت الإحسان إلى الشيخ

---

(١) تاريخ بغداد (١٠/ ٦١).

ونمت وأصبحت وقد أنسيت أمر الشيخ، فركبت إلى دار خمارويه وأنا والله أسير إذ ترايا لي الرجل على دويبة ضعيفة، ثم أومأ إليَّ الرجل فانكشف فخذه، فإذا هو لابس خفا بلا سراويل، فحين وقعت عيني عليه ذلك ذكرت المنام، وقامت قيامتي، فوقفت في موضعي واستدعيته، وقلت: يا هذا، ما حل لك أن تركت إذكاري بأمرك أما كان في الدنيا من يوصل لك رقعة، أو يخاطبني فيك؟

الآن قد قلدتك الناحية الفلانية، وأجريت عليك رزقًا في كل شهر، وهو مائتي دينار، وأطلقت لك من خزانتي ألف دينار صلة ومعونة على الخروج إليها، وأمرت لك من الثياب بكذا وكذا، فاقبض ذلك واخرج، وإن حسن أثرك في تصرفك زدتك وفعلت بك وصنعت قال: وضممت إليه غلامًا يتنجز له ذلك كله، ثم سرت فما انقضى اليوم حتى حسن حاله، وخرج إلى عمله[1].

[٧٣] والله لا أجبتك بكذب

حكى العتبي قال: كان خالد بن عبد الله القسري ذات ليلة مع فقهاء من أهل الكوفة فقال بعضهم: حدثونا حديثًا لبعض العشاق، قال أحدهم: أصلح الله الأمير، ذكر هشام بن عبد الملك غدر النساء وسرعة رجوعهن، فقال له بعض جلسائه: أنا أحدثك، يا أمير المؤمنين: بلغني عن امرأة من يشكر يقال لها: أم عقبة بنت عمرو بن الأعران، وأنها كانت عند ابن عم لها يقال له: غسان، وكان شديد المحبة لها، والوجد بها، وكانت له كذلك، فأقام بها على هذا الحال ما شاء الله، لا يزيد كل واحد منهما بصاحبه إلا اعتباطًا. فلما حضرت غسان الوفاة قال لها: يا أم عقبة اسمعي ما أقول، وأجيبي، عن نفسك بحق، فقالت: والله لا أجبتك بكذب، ولا أجعله آخر حظك معي. فقال: إن

---

(١) [illegible] ١٠٧.

رجوت أن تحفظي العهد، وأن تكوني لي إن مت عند الرجاء، أنا والله واثق بك، غير أني بسوء الظن أخاف غدر النساء، ثم اعتقل لسانه فلم ينطق حتى مات. فلم تمكث معه إلا قليلًا حتى خطبت من كل مكان، ورغب فيها الأزواج لاجتماع الخصال الفاضلة فيها من العقل والجمال والمال والعفاف والحسب، فقالت مجيبة لهم:

سأحفظ غسَّانًا على بعدِ داره ... وأرعاهُ حتى نلتقي يومَ نُحشَرُ

وإني لفي شُغل عن الناس كلهم ... فكفُوا، فما مثلي من الناس يَغدرُ

سأبكي عليه، ما حييتُ بدمعة ... تحولُ على الخدين مني فتكثُرُ

فيئس الناس منها حينًا، فلما طالت بها الأيام نسيت عهده، وقالت: من قد مات فقد فات، وأجابت بعض خطابها فتزوجها المقدام بن حابس، وقد كان بها معجبًا، فلما كانت الليلة التي أراد بها الدخول، أتاها في منامها زوجها الأول فقال لها:

غدرتِ، ولم ترعي لبعلك حرمة ... ولم تعرفي حقًّا، ولم ترعي له عهدًا

غدرت به لما ثوى في ضريحه ... كذلك يُنسىَ كل من سَكَنَ اللحدا

فانتبهت مرتاعة مستحيية منه كأنه يراها أو تراه كأنه في جانب البيت، فأنكر حالها من حضرها، وقلن لها: مالك؟ وما بالك؟ قالت: ما ترك لي غسان في الحياة إربًا، أتاني الساعة فأنشدني هذه الأبيات، ثم أنشدتها بدمع غزير، وانتحاب شديد من قلب جريح موجع، فلما سمعن ذلك منها أخذن بها في حديث آخر لتنسى ما هي فيه، فتغفلتهن ثم قامت كأنها تقضى حاجة فأبطأت عليهن، فقمن في طلبها، فوجدنها قد جعلت السوط في حلقها وربطته إلى عمود البيت وجبذت نفسها حتى ماتت، فلما بلغ ذلك زوجها المقدام، حسن عزاؤه عنها، وقال: هكذا فليكن النساء في الوفاء قلَّ من يحفظ ميتًا، إنما هي

أيام قلائل حتى يُنسى وعني يُتسلَى[١].

[٧٤] هذا من ثمن تلك السمكة

قال علي بن حسان الأنباري الكاتب، قال: لما أنفذني معز الدولة من بغداد إلى ديلمان لأبني له دورًا في بلدة منها، قال لي: سل عن رجل من الديلم يقال له: أبو الحسين بن شيركوه، فأكرمه واعرف حقه وأقرئه سلامي، وقل له سمعت وأنا صبي بحديث منام كان أبي رآه وفسره هو وأنت عى مفسر بديلمان، ولم أقم عليه للصبي، فحدثني به واحفظه لتعيده علي.

فلما جئت إلى ديلمان جاءني رجل مسلمًا، فعلمت بأنه كان بينه وبين بويه والد الأمير صداقة فأكرمته وعظمته وأبلغته رسالة معز الدولة، فقال لي: كانت بيني وبين بويه مودة وكيدة، وهذه داره وداري متحاذيتان كما ترى، وأومأ إليهما، فقال لي. ذات يوم: إني قد رأيت رؤيا هالتني فاطلب لي إنسانًا يفسرها لي، فقلت: نحن هاهنا في مفازة فمن أين لنا من يفسر، ولكن اصبر حتى يجتاز بنا منجم أو عالم فنسأله، ومضى على هذا الأمر شهور فخرجت أنا وهو في بعض الأيام إلى شاطئ البحر نصطاد سمكًا، فجلسنا فاصطدنا شيئًا كثيرًا، فحملناه على ظهورنا أنا وهو، وجئنا فقال لي: ليس في داري من يعمله فخذ الجميع إليك ليعمل عندك، فأخذته وقلت له: فتعال إليّ لنجتمع عليه، ففعل، فقعدنا أنا وهو وعيالي ننظفه ونطبخ بعضه ونشوي الباقي، وإذا رجل مجتاز يصيح منجم مفسر للرؤيا، فقال لي: يا أبا الحسين تذكر ما قلته لك بسبب المنام رأيته فقلت: بلى، فقمت وجئت بالرجل، فقال له بويه: رأيت ليلة في منامي كأني جالس أبول، فخرج من ذكري نار عظيمة كالعمود، ثم تشعبت

(١) أخبار النساء رقم(١٧٤).

OBEIKANDL.COM

يمنة ويسرة وأمامًا وخلفًا حتى ملأت الدنيا، وانتبهت، فما تفسير هذا؟ فقال له الرجل: لا أفسرها لك بأقل من ألف درهم. قال: فسخرنا منه، وقلنا له: ويحك نحن فقراء نخرج نصيد سمكًا لنأكله والله ما رأينا هذا قط ولا عشرة، ولكنا نعطيك سمكة من أكبر هذا السمك، فرضي بذلك، وقال له: يكون لك أولاد يفترقون في الدنيا فيملكونها ويعظم سلطانهم فيها على قدر ما احتوت النار التي رأيتها في المنام عليه من الدنيا قال: فصفعنا الرجل، وقلنا: سخرت منا وأخذت السمكة حرامًا، وقال له بويه: ويلك أنا صياد فقير كما ترى وأولادي هم هؤلاء وأومأ إلى علي بن بويه، وكان أول ما اختط عارضه، والحسن وهو دونه، وأحمد وهو فوق الطفل قليلًا.

ومضت السنون وأنسيت المنام حتى خرج بويه إلى خراسان، وخرج علي بن بويه، فبلغنا حديثه وأنه قد ملك أرجان، ثم ملك فارس كلها، فما شعرنا إلا بصلاته قد جاءت إلى أهله وشيوخ بلد الديلم، وجاءني رسوله يطلبني، فطلبني فخرجت ومشيت إليه، فهالني ملكه وأنسيت المنام وعاملني من الجميل والصلات بأمر عظيم، وقال لي وقد خلونا: يا أبا الحسين تذكر منام أبي الذي ذكرتموه للمفسر وصفعتموه لما فسره لكم، فاستدعى عشرة آلاف دينار فدفعها إليّ وقال: هذا من ثمن تلك السمكة خذه، فقبلت الأرض، فقال لي: تقبل تدبيري؟ فقلت: نعم، قال: انفذها إلى بلد الديلم، واشتر بها ضياعًا هناك ودعني أدبر أمرك بعدها، ففعلت وأقمت عنده مدة ثم استأذنته في الرجوع، فقال: أقم عندي فإني أقودك وأعطيك إقطاعًا بخمسمائة ألف درهم في السنة، فقلت له: بلدي أحب إليّ، فأحضر عشرة آلاف دينار أخرى فأعطاني إياها، وقال: لا يعلم أحد فإذا حصلت ببلد الديلم فادفن منها خمسة آلاف استظهارًا على الزمان، وجهز بناتك بخمسة آلاف ثم أعطاني عشرة دنانير، وقال: احتفظ بهذه ولا تخرجها من يدك، فأخذتها فإذا في كل واحد مائة دينار وعشرة دنانير

فودعته وانصرفت.

قال أبو القاسم: فحفظت القصة فلما عدت إلى معز الدولة حدثته بالحديث فسر به وتعجب، وكان بويه يكنى أبا شجاع، وينسب إلى سابور ذي الأكتاف، وأولاد بويه ثلاثة أكبرهم أبو الحسن علي ولقبه عماد الدولة، وأبو علي الحسن ولقبه ركن الدولة، وأبو الحسين أحمد ولقبه معز الدولة. لقبهم بهذه الألقاب المستكفي بالله، وكانوا فقراء ببلد الديلم[1].

[٧٥] لا تؤثرن فانيًا على باق

عن إبراهيم بن يسار قال: كنت يومًا من الأيام مع إبراهيم بن أدهم في صحراء، إذ أتينا على قبر مُسَنَّم، فوجم عليه وبكى، فقلت: من هذا؟ قال: قبر حميد بن جابر أمير هذه المدائن كلها، كان غرقًا في بحر الدنيا أخرجه الله منها واستنقذه، لقد بلغني أنه سُرَّ ذات يوم بشيء من ملاهي ملكه ودنياه وغروره، ثم نام في مجلسه ذلك مع من يخلو به من أهله، فرأى رجلًا واقفًا على رأسه بيده كتاب، فناوله إياه ففتحه وقرأه فإذا فيه مكتوب بالذهب: لا تؤثرن فانيًا على باق، ولا تغترن بملكك وسلطانك وعبيدك ولذاتك، فإن الذي أنت فيه جسيم لولا أنه عديم، وهو ملك لولا أن بعده هلك، وهو فرح وسرور لولا أنه لهو وغرور، وهو يوم لو كان يوثق فيه بغد، فسارع إلى أمر الله عز وجل، فإن الله قال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣] فانتبه فزعًا وقال: هذا تنبيه من الله عز وجل وموعظة، فخرج من ملكه إذ لا يعلم به، وقصد هذا الجبل، فتعبد فيه، فلما بلغني قصته وحدثت بأمره قصدته فسألته فحدثني ببدء أمره، فما زلت أقصده

---

(١) المنتظم (١٣/ ٣٣٠).

حتى مات ودفن هاهنا، فهذا قبره[١].

[٧٦] أرأيت أعجب من هذا؟!

قال علي بن الجهم: لما أفضت الخلافة إلى جعفر المتوكل على الله، أهدى إليه ابن طاهر من خراسان هدية جليلة فيها جوار، منهن جارية يقال لها: محبوبة كانت قد نشأت بالطائف، وكان لها مولى قد عني بها، فبرعت في فنون الأدب، وأجادت الشعر، وكانت راوية ظريفة، مجيدة للشعر، فقربت من قلب المتوكل، وغلبت عليه، قال: فخرج عليَّ يومًا، وقال لي: يا علي، دخلت الساعة فيه وقد كتبت بالمسك والقرطاس، فانقفل عليَّ، حتى كأني ما عملت بيتًا قط، فقلت: يا أمير المؤمنين، لو أذنت لمحبوبة أن تقول شيئًا عسى أن ينفتح لي. فأمرها، فقالت مسرعة،:

وكاتبة بالمسك في الخدِّ جعفرًا ... بنفسي خطَّ المسكُ، مَن حيثُ أثَّرا

لئن أودعتْ سطرًا من المسك خدَّها ... لقد أودعت قلبي من الشوق أسطرا

فاعجب لمملوك يظلُّ مليكُهُ ... مطيعًا له فيما أسرَّ وأجهَرا

قال علي: وغضب عليها مرة، وكان لا يصبر عنها، فأمر جواري القصر أن لا تكلمها واحدة منهن. فكانت في حجرتها أيامًا، وقد تنغص عيشه لفراقها، فبكرتُ عليه يومًا، فقال: يا علي. قلت: لبيك يا أمير المؤمنين. قال: رأيت الليلة في منامي كأني رضيت عن محبوبة فصالحتها وصالحتني، فقلت: خيرًا يا أمير المؤمنين، أقر الله عينك وسرك. إنما هي عبيدتك، والسخط والرضا بيدك، فوالله، إنا لفي حديثنا إذا جاءت وصيفة، فقالت: يا أمير المؤمنين سمعت

---

(١) المنتظم (٨/ ١٥١).

صوتًا من حجرة محبوبة، قال: فقم بنا يا علي ننظر ما تصنع، فنهضنا حتى أتينا حجرتها، فإذا هي تقول:

أدورُ في القصر، لا أرى أحدًا ... أشكو إليه، ولا يُكلِّمني

كأنني قد أتيتُ معصية ... ليست لها توبة تخلصني

فهل شفيع لنا، إلى ملك ... قد زارني في الكرى فصالحني

حتى إذا ما الصباح لاح لنا ... عاد إلى هجره فصادمني

قال: فصاح أمير المؤمنين، وصحت معه، فتلقته وأكبَّت على رجه تقبلها فقال: ما هذا؟ فقالت: يا مولاي رأيت في ليلتي هذه كأنك صالحتني، فتعللت بما سمعت، قال: فأنا والله قد رأيت مثل ذلك، وقال: يا علي أرأيت أعجب من هذا، وكيف اتفق ورجعنا إلى الموضع الذي كنا فيه، واصطلحا وزادت حظوتها عنده[1].

[٧٧] أحسن إليه فإنه مظلوم

كنا مرة بين يدي المعتمد، فجعل يخفق نعاسًا، ثم نام مقدار نصف ساعة، وانتبه فقال: أحضروني من الحبس رجلًا يعرف بمنصور الحمّال، فأُحضر، فقال: منذ كم أنت محبوس؟ فقال: منذ ثلاث سنين. قال: فأصدقني عن خبرك؟ قال: أنا رجل من أهل الموصل، كان لي جمل أحمل عليه وأعود بكراه على عائلتي، فضاق بالموصل المكسب، فقلت: أخرج إلى سامراء، فإن العمل فيها كثير، فخرجت، فلما قربت منها إذا جماعة من الجند قد ظفروا بقوم يقطعون الطريق قد كتب صاحب البريد بعددهم، وكانوا عشرة، فأعطاهم

(١) أخبار النساء ص(٤٨).

واحد من العشرة مالًا على أن يطلقوه، فأطلقوه وأخذوني مكانه، وأخذوا جملي، فسألتهم بالله وعرفتهم خبري، فأبوا وحبسوني، فمات بعض القوم، وأطلق بعضهم، وبقيت وحدي. فقال المعتمد: أحضروني خمسمائة دينار. فجاءوا بها. فقال: ادفعوها إليه قال: فأخذها، وأجرى عليه ثلاثين دينارًا في كل شهر، وقال: اجعلوا أمر جِمالنا إليه، ثم أقبل علينا، وقال: رأيت الساعة النبي ﷺ فقال لي: يا أحمد: وجّه الساعة إلى الحبس فأخرج منصورًا الجمال وأحسن إليه فإنه مظلوم. ففعلت ما رأيتم، ثم نام من وقته فانصرفنا[1].

[٧٨] غُفر لي ورب الكعبة

قال سعيد بن أبي عروبة: عن عمر بن عبد العزيز، رأيت رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر جالسان عنده، فسلَّمت وجلست، فبينا أنا جالس إذ أُتى بعلي ومعاوية فأدخلا بيتًا وأُجيف عليهما الباب وأنا أنظر، فما كان بأسرع من أن خرج عليّ وهو يقول قُضي لي ورب الكعبة، وما كان بأسرع من أن خرج معاوية على أثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة[2].

[٧٩] ما أحب أن أزاد على عطية رسول الله ×

قال التنوخي: حدثني جماعة من أهل الحضرة أن رجلًا كان مشهورًا بالستر وارتكبه دين، فقام عن دكانه ولزم منزله، وأقبل على الدعاء والصلاة ليالي

---

(١) المنتظم (١٢/ ١٠٤).

(٢) الروح ص(٣٤)، وفي حاشيته، ولعلَّ في هذه الرؤيا إشارة عظيمة لحسم الخلاف الخطير الذي كان بين الإمام علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، فقضى الله للأول وغفر للثاني، وأدخل كلًّا منهما الجنة مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانًا على سرر متقابلين﴾ [الحجر:٤٧].

كثيرة، فلما كانت ليلة الجمعة صلى صلاته ودعا ونام، قال: فأُريت رسول الله ﷺ وهو يقول: اقصد علي بن عيسى الوزير، فقد أمرته لك بأربعمائة دينار، فخذها وأصلح بها أمرك. قال: وكان عليَّ قيمة ستمائة دينار فلما كان من غد قلت: قد قال النبي ﷺ: «**من رآني في المنام فقد رآني حقًّا فإن الشيطان لا يتمثل بي**» فلم لا أقصد الوزير؟ فجئت الباب فمنعت من الوصول إليه فجلست إلى أن ضاق صدري وهممت بالانصراف، فخرج صاحبه وكان يعرفني معرفة ضعيفة، فأخبرته فقال: يا هذا، الوزير والله في طلبك منذ السحر وإلى الآن، وقد سأل عنك، فما عرفك أحد، والرسل مبثوثة في طلبك، فكن مكانك، قال: ومضى ودخل، فما كان بأسرع من أن دعوني فدخلت إلى الوزير، فقال لي: ما اسمك؟ فقلت فلان ابن فلان العطار، قال: من أهل الكرخ؟ قلت: نعم. قال: يا هذا، أحسن الله جزاءك في قصدك إياي، فوالله ما تهنأت بعيش منذ البارحة، جاءني رسول الله ﷺ في منامي فقال: أعط فلان ابن فلان العطار من الكرخ أربعمائة دينار يُصلح بها شأنه.

وكنت طول نهاري في طلبك، وما عرفك أحد، ثم قال: هاتوا ألف دينار فحملوها، فقال: هذه أربعمائة دينار خذها امتثالًا لأمر رسول الله ﷺ وستمائة هبة مني لك، فقلت: أيها الوزير، ما أحب أن أزاد على عطية رسول الله ﷺ فإني أرجو البركة فيه لا فيما عداه، فبكى علي بن عيسى وقال: هذا هو اليقين خذ ما بدا لك. فأخذت أربعمائة دينار وانصرفت، فقصصت قصتي على صديق لي وأريته الدنانير، وسألته أن يحضر غرمائي ويتوسط بيني وبينهم، ففعل فقالوا: نحن نؤخره ثلاث سنين بالمال فليفتح دكانه، فقلت: لا بل يأخذون مني الثلث من أموالهم، وكانت ستمائة فأعطيت كل مَنْ له شيء ثلث ماله، فكان الذي فرقت بينهم مائتي دينار وفتحت دكاني، وأدرت المائتين الباقية في الدكان فما حال الحول إلا ومعي ألف دينار، فقضيت ديني كله، وما

زالت حالتي تزيد وتصلح[١].

[٨٠] هذا طليق الله

عَرض على المنصور بن أبي عامر صاحب الأندلس اسمَ أحد خدمه في جملة من طال سجنه، وكان شديد الحق عليه، فوقع على اسمه بأن لا سبيل إلى إطلاقه حتى يلحق بأمه الهاوية، وعُرف الرجل بتوقيعه، فاهتم واغتم وأجهد نفسه في الدعاء والمناجاة، فأرق المنصور إثر ذلك، واستدعى النومَ فلم يقدر عليه، وكان يأتيه عند تنويمه آت كريه الشخص عنيف الأخذ يأمره بإطلاق الرجل، ويتوعده على حبسه، فاستدفع شأنه مرارًا إلى أن علم أنه نذير من ربه، فانقاد لأمره، ودعا بالدواة في مرقده فكتب بإطلاقه، وقال في كتابه: هذا طليق الله على رغم أنف ابن أبي عامر، وتحدث الناس زمانًا بما كان منه[٢].

[٨١] يا محمود أنقذني من هذين

في عهد ضعف الدولة العباسية، وتعدُّد الدول الإسلامية، وتنوُّع أجناسها وتنافسها وتزاحمها، وغزو النصارى لبعض الدول الإسلامية، وفي عهد الفوضى، حدث كما رواه المؤرخون سنة (٥٥٧هـ) أن النصارى اتفقوا على أن ينقلوا جسد النبي ﷺ من قبره، فأرسلوا رجلين منهم دخلا المدينة في زي المغاربة وادّعيا أنهما من أهل الأندلس، ونزلا في الناحية التي تلي الحجرة المطهرة من القبلة خارج المسجد عند دار آل عمر، وهي المعروفة -بديار العشرة- وقد أزيلت في توسعة ما حول المسجد أثناء التوسعة الأخيرة

---

(١) المنتظم (١٤/ ٦٠).

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (١/ ٤٠١) للمقري.

للمسجد، وقد أظهر هذان النصرانيان التقوى والصلاح بالصلة والبر والصلاة وزيارة البقيع وقبر الرسول ﷺ هكذا كان ظاهرهما، أما الباطن فقد كانا يحفران سردابًا ينتهي للحجرة المطهرة، وصارا ينقلان التراب قليلًا قليلًا فتارة يرميانه في بئر لديهما، وتارة ينقلانه في محفظة من جلد يوهمان الناس بزيارة البقيع، ويرميان التراب فيه، ومكثا على هذه الحالة مدة حتى توهما أنهما قربا من غايتهما، ووصلا إلى قرب القبر الشريف، وأخذ المجرمان يفكران في كيفية نقل الجسد المطهر، وظنا أن ذلك قريب المنال، ولكن الله كان لهما بالمرصاد، فقد رأى السلطان نور الدين محمود بن زنكي، رأى النبي ﷺ في المنام وهو يشير إلى رجلين أشقرين، ويقول: يا محمود أنقذني من هذين، فاستيقظ منزعجًا،وصلى ونام فرأى المنام بعينه ثلاث مرات، فلما استيقظ في الثالثة دعا وزيره جمال الدين الموصلي -وكان وزيرًا عاقلًا، دينًا، ورعًا وقص عليه الرُّؤيا فقال له: هذا أمر حدث بالمدينة المنورة، اخرج الآن للمدينة، واكتم ما رأيت، فتجهز بقية ليلته، وخرج على رواحل في عشرين رجلًا ومعه الوزير ومال كثير -وقال بعضهم معه ألف راحلة وما يتبعها من خيل وغير ذلك-وقطع المسافة من الشام إلى المدينة في ستة عشر يومًا، وصلى في الروضة وزار ثمَّ جلس لا يدري ماذا يصنع، فقال الوزير أتعرف الشخصين إذا رأيتهما؟ قال: نعم، فقال الوزير لأهل المدينة وقد اجتمعوا في المسجد، إن السلطان معه أموال كثيرة للصدقة، فاكتبوا الذي عندكم من انحتاجين وأحضروهم وكل من حضر يأخذ نصيبه، وكان السلطان يتأمل الذين يحضرون فلم يجد فيهم أحدًا صفته صفة الشخصين اللذين رآهما في المنام، فقال السلطان هل بقي أحد لم يأخذ، فقالوا لم يبق أحد إلا رجلان مغربيان لا يتناولان شيئًا -وهما صالحان- فقال: عليّ بهما فأُحضروا فإذا هما الرجلان اللذان أشار إليهما ﷺ في المنام، فقال لهما من أين أنتما؟ فقالا: إننا من المغرب،

جئنا حاجين واخترنا المجاورة هذا العام، فقال لهما: أصدقاني وقررهما فأصرا على كلامهما، فتركهما وذهب إلى محل سكناهما مع بعض أهل المدينة، فوجدوا مالًا كثيرًا ومصحفين وكتبًا فوق الرف، ولم يجدوا شيئًا آخر، وجعل السلطان يطوف بالمحل، ثمَّ ألهم الله السلطان نور الدين فرفع خسفه في المحل فوجد تحتها لوحًا من الخشب فرفعه فوجد السرداب محفورًا ومتجهًا للحجرة الشريفة، ومخترقًا جدار المسجد، فذُهل أهل المدينة، وكانوا يعتقدون فيهما الصلاح والتقوى، فضربهما السلطان ضربًا مبرحًا شديدًا فاعترفا أنهما نصرانيان بعثهما ملوك النصارى في زي حجاج مغاربة، وأمدوهما بأموال عظيمة، وأمروهما بالتحيل في إخراج النبي الكريم ﷺ من قبره ونقله إلى بلادهم، فلما ظهر حالهما واعترفا بجريمتهما أمر السلطان بضرب عنقهما عند الشباك شرقي الحجرة الشريفة، ثمَّ أُحرقا آخر النهار بالنار، ثمّ أمر السلطان نور الدين بحفر خندق حول الحجرة إلى الماء، وأمر بإحضار رصاص كثير وأذيب وصبَّ في الخندق حتى ملأه ثمَّ عاد إلى الشام[1].

[٨٢] اتفاق منامين

قال أحمد بن عبد الله التغلبي: كان من بقايا شيوخ خراسان من يلزم دار العامة بسرٍّ من رأى شيخ يكنى أبا عصمة، وكان يحدثنا كثيرًا بأخبار الدولة وأهلها، فحدثنا أن خُزيمة بن خازم كان يجلس في داره للناس في كل يوم ثلاثًا، فلا يُحجب عنه أحد، ولا يُستأذن لمن حضره، إنما يدخلون إرسالًا بغير إذن، فمن كان من أشراف الناس ووجوههم سلم وانصرف، ومن كان من طلاب الحوائج أو خطاب التصرف دفع رقعة إلى الحاجب، وكان قد أفرد لهذا

(١) فصول من تاريخ المدينة المنورة لعلي حافظ نقلًا عن أنيس الصالحين ص(١٥١).

كاتبًا حصيفًا يقال له: الحسن بن سلمة يتصفح الرقاع قبل عرضها عليه، فما كان يجوز أن يوقع فيه عنه وقع وسلمة: إلى أربابه، وما كان لابد من وقوفه عليه وتوقيعه فيه بخطه عرضه عليه، وما كان من زائر ومسترفد عرض عليه رقعته فيكون هو الموقع فيها بما يراه.

ولا يكاد أن ينصرف أحد من هذا الجمع العظيم المفرط إلا وهو مسرور بقضاء حاجته قال أبو عصمة: وكان ممن يتصرف في الأعمال رجل من العرب له لسان وفصاحة يُقال له: حامد بن عمرو الحراني، وكان فيه إلحاح شديد وملازمة تامة إذا تعطل، فيؤذي بذلك ويبرم، ولا يقنع بذلك حتى يلازم بابه في كل يوم، وإذا ركب خاطبه على الطريق وربما تعرض له في دار الخليفة فيخاطبه، ولم يكن في طبع خزيمة الاحتمال لمثل هذا، قال أبو عصمة: فحدثني الحسن بن سلمة كاتب خزيمة قال: نظر خزيمة يومًا إلى هذا الرجل في داره - وكان لقيه- وخاطبه قبل ذلك بيوم وأضجره، ووافق من خزيمة ضجرًا بشيء حدث من أمور المملكة مع ما فيه من الجبروتية والكبر، فحين خاطبه الرجل صاح فيه وأمر بإخراجه من داره إحراجًا عنيفًا، ثم دعاني فقال: والله لئن دخل هذا الرجل داري لأضربن عنقه فأخبره بذلك وحذّره، وتقدم إلى البوابين والحجاب بذلك. وكان خزيمة إذا وعد أو توعّد فليس إلا الوفاء. فخرجتُ إلى البوابين والحجّاب وأصحاب المقارع فبالغت في تحذيرهم، وعرفتهم ما قال، وأنه حلف أن يضرب أعناقهم، وأكدت القصة والوصية بجهدي مستظهرًا لنفسي. ومضيت خارج الدار فإذا الرجل واقفًا، فأعلمته أن دمه مرتهن بنظرة ينظرها إليه خزيمة في دار السلطان أو على بابه أو في بعض الطريق، وحذرته تحذيرًا شديدًا، وخوفته بالله عز وجل في دمه أن لا يجعل على نفسه سبيلًا، فشكرني على تحذيره وانصرف كئيبًا.

فلما أصبحنا من غد غدوة إلى دار خزيمة -على رسمي في الملازمة- فلما

دنوت من الباب إذا بالرجل واقفًا كما كان يقف منتظرًا لركوبه، فعظم ذلك عليّ فقلت: يا هذا، أما تخاف الله عز وجل؟ أتحب أن تقتل نفسك؟ أما تعرف الرجل؟ فقال: والله ما أتيت هذا الرجل جهلًا مني ولا اغترارًا، بل أتيته على أصل قوي وسبب وثيق، وسترى من لطف الله عز وجل ما يسرّك وتعجب منه. قال الحسن بن سلمة فزاد عجبي منه، ودخلت الدار فصادفت خزيمة في صحن الدار يريد الركوب، فحين نظر إليّ قال لي: ما فعل حامد بن عمرو؟ قلت رأيته الساعة بالباب، وقد تهددته، فلما رأيته اليوم بالباب تعجبت من جهله وعوده مع ما أعذرت إليه من الوعيد، وأمرته بالانصراف فأجابني بجواب لا أدري ما هو، فأنا بريء من فعله. فقال: بأي شيء أجابك؟ فأخبرته، فسكت خزيمة، وخرج فركب، فحين رآه ترجل له حامد، فصاح خزيمة: لا تفعل، وألحقني إلى دار أمير المؤمنين. قال: وسرنا، ودخل إلى دار أمير المؤمنين الرشيد، ودخلنا معه إلى حيث جرت عادتنا أن نبلغه معه من الدار، فجلسنا فيه، ومضى خزيمة يريد دار الخليفة، وجاء حامد فجلس إليّ، فقلت: أصدقني عن خبرك والسبب في جسارتك على خزيمة ولينه لك بعد الغلظة، وعرفته ما جرى بيني وبين خزيمة ثانيًا. فقال: طب نفسًا، فما أبدي لك شيئًا إلا بعد بلوغ الأمر. فبينما نحن كذلك إذ دُعي بحامد بن عمرو، وأُدخل إلى حيث كان بأن موسومًا يدخل إليه من يُخلع عليه، فتحيرت، فلم يكن بأسرع من أن خرج وعليه خلع الخليفة، وبين يديه لواء عقده له وقد ولي طريق الفرات بأسره. فقمت إليه وهنأته وقلت له: ولا الساعة تخبرني الخبر؟ فقال: ما فات شيء، وودعني ومضى. وأقمت بمكاني إلى أن خرج خزيمة فسرت معه إلى داره، فلما استقر فيها دعاني، فسألني عن أمور من خدمته ثم قال: أظنك قد أنكرت ما جرى في أمر حامد بن عمرو؟ قلت: أي والله أيها الأمير. قال: فاسمع الخبر، اعلم أني كنت في نهاية الغيظ عليه فأمرت فيه بما

أمرت، فلما كان البارحة رأيت فيما يرى النائم كأنه قائم يصلي، ورفع يديه إلى الله عز وجل يدعو عليّ، فكأنه قد وقع في نفسي أنه يريد أن يدعو عليّ، قال: فصحت به، لا تفعل، وادن مني، فانفتل من صلاته، فجاء فوقف بين يدي فقلت له: ما حملك على أن تدعو عليّ؟ فقال: لأنك أهنتني واستخففت بي وأخرجتني من دارك ذليلًا آيسًا، وأشمتّ بي أعدائي ووعدتني بالقتل ظلمًا، وقطعت أملي في طلب رزقي وقوتي، فأنا أشكوك إلى الله عز وجل، وأستعينه عليك، فكأني أقول له طب نفسًا ولا تدعُ علي، فإني أحسن إليك غدًا وأوليك عملًا، واستعطفته، فعجبت من المنام، وعلمت أني ظلمت الرجل، وقلت في نفسي: شيخ من العرب وله سن وشرف أسأت إليه بغير جُرم، وأرعبته، وماذا عليّ إذا لح في طلب الرزق؟ وعلمت أن المنام موعظة في أمره وحث على حفظ النعم، ولا أنفرها بقلة الشكر واستعمال الظلم، واعتقدت أن أُوليه كما وعدته في المنام، فكان ما رأيت. قال الحسن بن سلمة: فصوبت رأيه في هذا، ودعوت وانصرفت. فجاءني من العشي حامد بن عمرو مسلمًا ومودعًا ليخرج إلى عمله، فقلت: هات الآن خبرك؟ قال: نعم، انصرفت من باب خزيمة موجع القلب قلقًا مرتاعًا، فأخبرت عيالي بما جرى، فكأنه في داري مأتم عظيم، ولم أُطعم أنا ولا عيالي يومي وليلتي طعامًا، وأمسيت على ذلك، فلما هدأت العيون توضأت واستقبلت القبلة، وصليت ما شاء الله، وتضرعت إليه عز وجل، ودعوته بإخلاص طوية وصدق وأطلت، فحملتني عيني وأنا ساجد في القبلة، فرأيت في منامي كأني على حالي في الصلاة والدعاء، وكأن خزيمة بن حازم قد وقف عليّ وأنا أدعو، فصاح بي لا تفعل، وعد إليّ، فإني أحسن إليك وأُوليك، فانتبهت مذعورًا وقد قويت نفسي، فقلت: أبكر إليه، فلعل الله عز وجل أن يطرح في قلبه الرقة لي.

فغدوت إليه، فكان ما رأيت. فقال الحسن: فكثر تعجبي لاتفاق المنامين،

وقلت لحماد: لقد أخبرني الأمير بمثل هذا لم يخرم منه حرفًا، وبكرت إلى خزيمة وحدثته الحديث، وأحضر حامدًا حتى سمع ذلك منه، فعجب منه وأمر له بصلة وكسوة وحملان، ولم يزل بعد ذلك متعهدًا إكرامه ولا يتعطل[١].

[٨٣] أحسنتَ التأويل

قال أبو الفرج المخزومي المعروف بالببغاء الشاعر قال: كان بحلب رجل بزار يعرف بأبي العباس بن الموصل، فاعتقله سيف الدولة[٢] بخراج كان عليه مدة وكان الرجل محدقًا في تفسير الرؤيا، فلما كان في بعض الأيام كنت بحضرة سيف الدولة وقد أوصلت له رقعة إليه يسأله فيها حضور مجلسه، فأمر بإحضاره وقال له: لأى شيء سألت الحضور؟ قال: لعلمي أنه لابد أن يطلقني الأمير سيف الدولة من الاعتقال في هذا اليوم، فقال له: ومن أين لك ذلك؟ قال: لأني رأيت البارحة في آخر الليل رجلًا قد سلم إليَّ مشطًا وقال: سرح لحيتك، ففعلت ذلك، فتأوّلت التسريح سراحًا من شدة واعتقال، ولكون المنام في آخر الليل حكمت أن تأويله يصح سريعًا، ووثقت بذلك، فجعلت الطريق إلى الأمير مسألة الحضور ولأستعطفه. فقال له: أحسنت التأويل، والأمر على ما ذكرت، وقد أطلقتك وسوّغتك خراجك في هذه السنة فخرج الرجل وهو يدعو له ويشكر[٣].

---

(١) الفرج بعد الشدة ص(١٥١).

(٢) سيف الدولة الحمداني هو أبو الحسن علي بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي، ولد سنة (٣٠٣هـ)، مات بحلب سنة (٣٥٦هـ) وحمل تابوته إلى ميافارقين، وكانت علته الفالج أو عسر البول، الكامل لابن الأثير (٧/ ٢٤).

(٣) الفرج بعد الشدة ص(١٣٧).

OBEIKANDL.COM